وزارة التعليم
جامعة المرقب
كلية علوم الشرعية/ الخمس

المجلة العلمية لعلوم الشريعة

مجلة علمية دورية محكمة نصف سنوية

تصدر عن كلية علوم الشريعة الخمس
جامعة المرقب

رئيس التحرير:
د. عادل فرحات الشلبي

مدير التحرير:
د. محمد امحمد أبوراس

سكرتير التحرير:
م. طارق علي الحوات.

العدد الأول:
يناير 2018م

معاييرُ النَّشر في المجلة

- أن يكون البحث في المجالات التي تُعنى بها المجلة، وأصيلاً في أفكاره.
- ألا يكون البحثُ المُقَدم منشوراً من قبل، أو مقدماً للنشر في مجلة أخرى، أو مستلاً من رسالة علمية.
- أن يلتزم الباحث بأصول البحث العلمي وضوابطه المتعارف عليها، ومن ذلك أن يحتوي على تقديم وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.
- أن يقدم البحث مطبوعاً بخط (Simplified Arabic)، بدرجة (14) في المتن، وبدرجة (11) في الهوامش، على أن تكون المسافة بين السطور مفردة، وأن يكون ترقيم الهوامش آلياً تلقائياً متجدداً في أسفل الصفحة.
- تخضع البحوث المُقدَّمة للنشر بالمجلة للتحكيم العلمي من قبل متخصصين في سرية تامة، وتلتزم المجلة بتوصياتهم.
- البحوث التي ترد للمجلة تكون ملكاً لها بمجرد تسلُّمها، ولا تُرد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- لهيئة التحرير في المجلة الحق في تنسيق البحوث المقبولة للنشر وترتيبها وفق سياسات المجلة دون إبداء الأسباب، ولا يعكس ذلك الترتيب قيمة البحوث أو مستوى أصحابها.
- البحث المنشور في المجلة يُعبر عن رأي صاحبه وقدراته العلمية واللغوية، وهو المسؤول عما نشر له من معلومات وبيانات ووجهات نظر.
- يجب ألا تزيد عدد صفحات البحث عن ثلاثين صفحة، على أن تتقدمه صفحة تحمل عنوان البحث واسم الباحث، ودرجته العلمية، ومكان عمله، وعنوانه ورقم هاتفه.
- يقدم البحث للمجلة من ثلاث نسخ ورقة، وأخري إلكترونية، مرفقا به تزكية لغوية من أهل الاختصاص تفيد بسلامته اللغوية، وفق أنموذج معدٍّ من هيئة التحرير بالمجلة.
- يمكن أن تقبل المجلة في مجال اهتمامها نشر نتائج الندوات والمؤتمرات العلمية التي تقام في الجامعة.
- ترحب هيئة التحرير بالمجلة بما يرد إليها من ملاحظات وأفكار، ونقد بناء من المتخصصين، وتَعِدُ بوضع كل ذلك موضع العناية والتقدير.

أسلوب الأمر في القرآن
(الإهانة والتكريم أنموذجًا)

د. علي عبد السلام بالنور
أ. حنـان علي بالنور
كلية الآداب - الخمس

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبي الكريم وعلى صحبه الطيبين الأخيار الذين امتثلوا لأمر ربهم، واتبعوا هدى رسولهم فمنحهم الكريم رضاه وتكريمه، وأبعدهم عن كلّ إهانة وخزي في الدنيا والآخرة.

أمَّا بعد، فالقرآن الكريم المنزَّل بلسان عربي مبين هو الباعث الأول في تطوّر العلوم وتنوعها، لذا شكّل بلغته، وأسلوبه، وبيانه المعجز دائرةَ التقاء كثير من العلوم التي انطلقت منه وإليه، حيث نشأت في ظله عُلوم عدة كالنحو، واللغة، والقراءات، والتفسير، والأصول، وعلم البلاغة.

أمَّا علم النحو فقد تضمن ملحوظات دقيقة عن أساليب الطلب في العربية، وأدواتها، ومعانيها، وزمنها الذي تدل عليه، وفق قاعدة أنَّ العلاقات الإعرابية ترتبط بالمعاني الوظيفية لأجزاء الجملة، كما كانت لعلم البلاغة وإعجاز القرآن أحكام تقرُّ ارتباط أساليب المعاني بالأجزاء الوظيفية للجملة العربية في إطار النظم الصحيح للجملة لا سيما في أسلوب الطلب، والأوجه التي يعمل فيها، وصور مخالفتها لمقتضى الظاهر، ولعل هذا ما جمع علم البلاغة بعلم النحو في(علم المعاني)، غير أنَّ النحوي والبلاغي يشتركان

في أنَّ النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع، وهذه دلالة عامة، أمَّا البلاغي فينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصة، والمعنى أن يكون في هيأة مخصوصة من الحسن والجَمال، وهذا أمر وراء النحو والإعراب.

كما كان لبعض مفسري القرآن لمسات بيانيّة، وأحكام بلاغيّة في تفاسيرهم لأساليب الطلب بكلّ صورها، ومن هذه الأساليب أسلوب النصح والإرشاد، والرجاء، والتمني، والالتماس، والدعاء، والإباحة والامتنان، والتسخير، والتهديد، وأسلوب الإهانة والتكريم، وهي أساليب استعملها القرآن الكريم بدلالة الأمر في الفعل.

وقد يسَّر الله ليَّ أن أبحث في أسلوب منها وهو أسلوب الإهانة والتكريم في القرآن الكريم؛ لعلي أقف على بعضٍ من دلالاته البلاغية، ولمساته الفنية، التي ترصد خلجات النفس، وتقيّم السلوك في إطار منهج القرآن، فهو مقياسٌ من الخالق ﷻ للتفاضل بين عباده.

على هذا المفهوم تأسست فكرة البحث في هذا الموضوع، من ملاحظة أنَّ الإهانة والتكريم في البيان القرآني خطاب موجّه من الله ﷻ إلى عباده يقوم على أساس أنَّ الله لا يريد رؤية عباده إلاَّ حيث أمرهم، ولا يفتقدهم الاَّ حيث نهاهم حتى يدركوا خطر العقاب، وجزاء الثواب.

وإتباعًا لجهود الباحثين في هذا المجال فقد بحثت في موضوعٍ وسمتُهُ بعنوان: **أسلوب الأمر في القرآن (الإهانة والتكريم أنموذجًا)**؛ لرؤيتي أنَّ

البحث فيه مهمٌ لكونه بحثًا في أسلوبٍ من أساليب القرآن العظيم الذي يعتمد العربية واسطةً للتبليغ بين نبيه الكريم وجميع خلقه المكلفين، وباعثًا للوقوف على طبيعة حكم النحاة والأصوليين وعلماء البلاغة، والتفسير في أسلوب الطلب؛ لأنَّ الشائع عنهم أنهم خدموا المعنى بأساليب متعددة وربطوه باللفظ، فكانت بحوثهم التي قدموها من أهم البحوث خدمة للقرآن، واللغة العربية.

وَلَمَّا جَمَعْتُ مادةَ البحث وَحَدَدْتُ منهجَ دراسته، تطلب البحث أنْ يُقَسّم على مقدمة، وعرض للموضوع، وخاتمة.

أما المقدمة؛ فتوجتْ بالحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشرتُ فيها إلى ملحوظة سطَّرها معظم أوائل النحاة، وبعض مفسري القرآن الكريم، وأغلب علماء البلاغة والإعجاز لأساليب الطلب في العربية، وما يتصل بها. وإلى خطاب الإهانة والتكريم في البيان القرآني الذي يعد منها، كما بينتُ فيها دوافع البحث، وفكرتَه، وَمُسَمَى عنوانه، والمنهج المعتمد في دراسته.

أمَّا موضوع البحث فكان في ثلاثة مطالب:

الأول: وضمَّنته دلالة الأمر في اللغة والاصطلاح، وفي البيان القرآني، وعند النحاة واللغويين، وعند الأصوليين، وعند البلاغيين.

الثاني: مفهوم الإهانة لغةً واصطلاحًا، وتنوع خطاب الإهانة المتضمن أسلوب إهانة الشيطان، وأسلوب إهانة سحرة فرعون، وخطاب إهانة المشركين والمنافقين الذي تفرع إلى شقين: خطاب إهانة في الدنيا، وخطاب إهانة في الآخرة.

أمَّا **الثالث:** فالتكريم، الذي تناولتُ مفهومه في اللغة والاصطلاح، وأسلوب تكريم الله ﷻ لأنبيائه، وللمتقين من عباده في الدنيا والآخرة.

وكان منهجي في البحث وصفيًّا استقرائيًّا يقوم على تحديد النص المتعلق بموضوع البحث، وتتبع الشاهد فيه، وجعلني هذا أقف على مصادر ومراجع متنوعةً – استفدتُ منها– جمعتْ بين القِدم والحداثة، وبين اللغة وتفسير القرآن وعلومه ، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، والصِحاح في اللغة وصحاح العربية للجوهري، وتفسير أبي السعود، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، والتصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان لأبي موسى، والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني.

وعند توثيق بيانات المصادر والمراجع في هامش صفحات البحث راعيتُ اختصارها تاركًا تفاصيلها في فِهرس المصادر والمراجع.

المطلب الأول: أسلوب الأمر:

الأمر في أصل اللغة ضد النهي[1]؛ لأنَّ الأمر طلبٌ لإيقاع الفعل. أمَّا مفهومه في الاصطلاح فهو: ((طلب إيجاد الفعل))[2]، أو هو ((قول القائل

(1) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (أمر).
(2) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي 12: 337.

لمن دونه: افْعَلْ))[1]. ومن خلال التعريفات السابقة يلحظ الباحث التوافق بين اللغة والاصطلاح في أنَّ الأمر هو طلب التنفيذ من جهة الاستعلاء بين الآمر والمأمور.

وللأمر في القرآن دلالات متعددة، منها طلب الفعل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ ﴾البقرة: 67 ، ومنها أن يكون الأمر بمعنى الشأن، قال تعالى: ﴿ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ ﴾ هود: 123، وفسَّره الزمخشري بالطلب والقصد، يقال: شَأَنْتَ شَأْنَهُ، أي: قَصَدْتَ قَصْدَهُ[2]. ويطلق على الإبداع، ويختص بالخالق ﷻ دون الخلائق[3]. قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأعراف: 54. ومن دلالته العجب، أو العظيم المنكر، قال تعالى حكاية قول موسى عليه السلام للعبد الصالح: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾القصص:20 وأغلب الدلالات ورودًا في القرآن ما تدل على طب إيقاع الفعل وتقييده، أو بمعنى الشأن[4].

وتناول النحاة الأمر لأهميته في الدرس اللغوي غير أنَّ النحاة القدامى مثل سيبويه– على سبيل المثال لا الحصر– قد أفرد له بحثًا مستقلاً في كتابه،

(1) التعريفات، الجرجاني : 58.
(2) الكشاف 1: 122.
(3) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني: 157.
(4) ينظر: المصدر نفسه: 24.

بعنوان (باب الأمر والنهي)[1]، وضَّح فيه صيغ الأمر المختلفة، واستعمال الخبر بمعنى الأمر، وعدول الأمر عن أصل معناه إلى معان أخرى.

أما الأصوليون فقد بحثوا في علم المعاني عدة أساليب منها الخبر والإنشاء، والحقيقة والمجاز، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والإجمال والتفصيل والترجيح، كما بحثوا دلالة الأمر في إطار القاعدة الشرعية أن الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، وفي دلالته على الاستعلاء، والوجوب، والزمن، والمقدار ممَّا جعلهم يسهمون في تطوير البحث البلاغي للأمر حتى أوصلوه إلى ما يربوا على ثلاثين وجهًا من وجوه المعاني الثوان[2].

أمَّا البلاغيون فقد بحثوا دلالات الأمر بمنهج الأصوليين؛ لمشاركة بعض البلاغيين مثل –السكاكي– في أصول الفقه[3]، ويؤكد هذه المشاركة السبكي[4] قائلًا: ((واعلم أنَّ علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل... وأنَّ كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب، والنهي

(1) ينظر: الكتاب، 1: 137– 144.

(2) ينظر: دلالة الألفاظ عند الأصوليين، محمود توفيق محمد: 100– وما بعدها.

(3) ينظر: البحث النحوي عند الأصوليين، مصطفى جمال الدين: 15.

(4) هو أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (719– 763هـ) له عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح، ولي قضاء الشام سنة 713هـ، مات مجاورًا بمكة. الأعلام للزركلي 1: 176.

للتحريم، ومسائل الأخبار، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والإجْمَال والتفصيل، والترجيح، كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني))[1].

وَبَحْثُ البلاغيين لأسلوب الأمر مرتبط بطائفتين، هما: طائفة البلاغيين، وعلماء الإعجاز وعلوم القرآن، وهاتان الطائفتان أرستا قواعد البلاغة حتى أصبح هذا النوع من العِلم دراسة مستقلة بذاته كعلوم العربية الأخرى، غير أنَّ منهج بحث أسلوب الأمر قام على تعريفه، وتحديد طبيعته، ثم تناول معانيه البلاغية المتولدة من طبيعته بمعونة القرائن، ودلالة السياق والمقام، ونهض بهذا الجَهد علماء أفاضل، كالسكاكي، والخطيب القزويني، والزملكاني، والزركشي، وجلال الدين السيوطي من خلال مؤلفاتهم[2].

المطلب الثاني: الإهانة:

ليست الإهانة في البيان القرآني مجرد ازدراء، أو تهوين من الشأن، أو بالأحرى لم تكن أسلوب فكهٍ لإثارة النفوس، أو مدعاة للسُخرية والضحك، وإنَّما هي صياغة ذات دلالة فعلية صِيْغَتْ بفعل الأمر، ارتبطت بها أهداف عظيمة، سواء أكانت من الناحية المعنوية، أو الاجتماعية، أو النفسية في الدنيا والآخرة، ومن أهم أهدافها الدعوة إلى وحدانية الله، ونبذ الشرك،

(1) عروس الأفراح، شروح التلخيص 1: 53.

(2) وهي: مفتاح العُلوم للسكاكي، والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، والبرهان الكاشف عن إعجاز القرآن للزملكاني، والبرهان في علوم القرآن للزركشي،والإتقان للسيوطي.

ومحاربة الرذيلة، والدعوة إلى المُثل العليا والسلوك السوي؛ لنيل رضا الله ﷻ والفوز بالتكريم في الدنيا والآخرة.

الإهانة لغة: (((هَوَنَ) الهاء والواو والنون أصلٌ يدل على سكون، أو سكينة، أو ذُلٌ))[1]. ويقال: ((رجل فيه مهابةٌ، أي: ذُلٌ وضعف. واستهان به: استحقره))[2] .

والإهانة والخزي في الاصطلاح هي انكسار يلحق النفس، وهو إمَّا من نفسه، وإمَّا من غيره، فالذي يلحقه من نفسه هو الحياء المفرط، و يقال له الهَونُ والذل، ويكون محمودًا، ومتى كان من غيره يقال له: الهُونُ، والهَوانُ والذلُ، ويكون مذمومًا [3] .

والتعبير بالإهانة نمط أسلوبي متنوعٌ يأتي –غالبًا–بصيغة الأمر في البيان القرآني، وهو من صور السُخرية والتهكم، ولون من ألوان العذاب في الدنيا والآخرة، وفي القرآن الكريم صور متعددة تحمل معاني الإهانة والتحقير للشيطان –عليه اللعنة–الذي رفض الامتثال لأمر الله ﷻ بالسجود لآدم عليه السلام حسدًا وتعاليًا وتكبرًا، وللمشركين الذين جعلوا لله نِدًّا بعد إذ جاءهم الحقّ من ربهم، وللمنافقين الذين يُظْهِرُون الإيمان ويُبْطِنُوْن الكفر، وخطاب

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (هَوَنَ).
(2) الصحاح في اللغة وصحاح العربية، للجوهري (هَوَنَ).
(3) ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد: 147.

الإهانة سواء أكان من الله ، أو ملائكته، أو أنبيائه، متنوع بتنوع قائليه. وقد تنوع أسلوب الإهانة الذي جاء بصيغة الأمر في القرآن إلى الآتي:

أولاً – أسلوب إهانة الشيطان:

الشيطان لغة هو كل عاتٍ من الإنس والجن والدواب[1]. أمَّا الشيطان في الاصطلاح فهو الشرير من الجن، ولهذا يقال للإنسان إذا كان شريرًا شيطان، ولا يقال جنيٌّ؛ لأنَّ قولك شيطان يفيد الشَّر، وقولك جنيّ يفيد الاستتار، ولهذا يقال على الإطلاق لعن الله الشيطان، ولا يقال لعن الله الجنيّ [2].

أمَّا إبليس فهو من بَلَسَ. وأَبْلَسَ من رحمة الله: يئس، ومنه سُمي إبليس، والإبلاس: الانكسار والحزن[3].

واستعمل القرآن لفظ الشيطان في تسع وعشرين سورة[4]، ولفظ إبليس في تسع سور[5]، واختلفت دلالة لفظ الشيطان عن إبليس، فلفظ الشيطان متعلق بأثر الشيطان في غيره، أمَّا لفظ إبليس فأثره في نفسه.

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (شطن).
(2) ينظر: معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: 307.
(3) ينظر: الصحاح للجوهري (بَلَسَ).
(4) البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال، يوسف، إبراهيم، النحل، الإسراء، الكهف، مريم، طه، الحج، النور، الفرقان، النمل، القصص، العنكبوت، لقمان، فاطر، يس، ص، فصلت، الزخرف، محمد، المجادلة، الحشر.
(5) البقرة، الأعراف، الحجر، الإسراء، الكهف، طه، الشعراء، سبأ، ص.

وجاء في القرآن الكريم خطاب الإهانة للشيطان الرجيم بصيغ عدة، قال تعالى:﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ الأعراف:13.وقال تعالى:﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾الحجر: 34. وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ ٠ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ الأعراف: 18 -19. وقال تعالى:﴿ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴾ الإسراء: 63.

في هذه الآيات الكريمة وردت أفعال الأمر (فاهبط، فاخرج، اخرج، اذهب) وهي خطاب لإبليس–عليه اللعنة–وهي أوامر مفيدة لمعاني الإهانة والتحقير ((فجملة(اهبط): في محل جزم جواب شرط مقدّر. أي: إنْ امتنعْتَ عن الطاعة فاهبط...والشرط وفعله وجوابه في محل نصب مقول القول))[1]. والتعبير بالهبوط فيه ما فيه من الإهانة والتحقير والإزدراء.

والفعل(اخرج) تأكيد للأمر بالخروج متفرغ على علته...أمَّا قوله: (إنَّك من الصاغرين) فهو تعليل للأمر بالخروج مشعر بأنَّه لتكبره، أي: من الأذلاء وأهل الهوان[2].

أما توجيه الأمر له بالخروج المقيد بالذم والزجر بحضور آدم عليه السلام ففيه ((توجيه الخطاب لآدم بهذه الفضيلة بحضور إبليس بعد طرده زيادة إهانة؛

(1) الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي 8: 366.
(2) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود 3: 217.

لأنَّ إعطاء النعم لمرضيٍّ عنه في حين عاب من استأْهَلَ العقاب زيادة حسرة على المعاقَب، وإظهارًا للتفاوت بين مستحق الإنعام ومستحق للعقوبة))[1].

أما قوله تعالى: (اذهبْ) فليس المراد بالذهاب على حقيقة الأمر بل المراد كما قال الزمخشري: ((ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء، وإنَّما معناه: امضِ لشأنك الذي اخترته خذلانًا وتخليةً))[2]، والغرض منه إهانته وتحقيره، وصيغة الآية (فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا) التي جاءت بعد فعل الأمر(اذهب) دالة على التهديد والوعيد في أنَّ الذهاب ليس ضد المجيء، بل للطرد والإهانة[3].

ثانيًا – أسلوب إهانة سَحَرَة فرعون:

ومن صيغ الإهانة والتحقير التي ذكرها البيان القرآني في الحياة الدنيا الحوار الذي دار بين نبي الله موسى عليه السلام وسحرة فرعون[4]، ومِن حوارهم معه يظهر أنَّ السَّحرة كانوا واثقين من أنفسهم في مغالبة موسى بدليل تمنيهم على فرعون الأماني، وفي حوارهم خيَّروا موسى بين أن يبدأ أو يبدؤون، ويخبر القرآن عن موسى أنَّه قال:﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم

(1) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور 8: 53.
(2) الكشاف، 2: 633.
(3) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي 15: 110.
(4) ذكر أربع مرات: الأعراف:116، يونس:80–81، طه:66، الشعراء:43.

﴿مُّلْقُونَ﴾ يونس: 80. ففعل الأمر (ألقوا) في الآية للإهانة والاحتقار [1]؛ لأنَّ الذي ستلقونه سيكون مهانًا وحقيرًا أمام معجزة الله.

ثالثًا – أسلوب إهانة المشركين والمنافقين:

جاء أسلوب إهانة المشركين والمنافقين في القرآن الكريم متوافقًا مع زمن صدور الإهانة ومكانها، ولذلك تنوعت إهانتهم في الحياة الدنيا، ويوم القيامة.

1- إهانة المشركين والمنافقين في الدنيا:

عرض القرآن صورًا متعددة لمعاني الإهانة والتحقير للمشركين في الدنيا، وَتَنوَّعَ أسلوبها بتنوع القائلين بها، فجاءت من قِبل الله ﷻ أو ملائكته، أو رسله.

جاء في إهانة المُشرِكين المُنكِرين للبعث قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدٗا ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا﴾الإسراء: 49 – 50.

فأمر (كونوا حجارةً أو حديدًا) للإهانة والتحقير من شدة العجز[2]؛ لأنَّه سلبهم كلّ ما للإنسان من خصائص الإنسانية. ويؤيد هذا القول

(1) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي 3: 277.
(2) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: 142.

الشِهاب[1] في حاشيته قائلاً: ((فالصواب أنَّه للإهانة كما جنح إليه في الإيضاح))[2].

ومن صور الإهانة التي دلَّتْ عليها صيغة الأمر في الحياة الدنيا قوله تعالى:﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ * فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ *لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ الأنبياء: 11- 13.

فهذه الآيات تصويرٌ لمشهد القصم، وهو أشد درجات القطع، قال الزمخشري عن هذه الآية: ((واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم؛ لأنَّ القصم أفظع الكسر، وهو الكسر الذي بين تلاؤم الأجزاء، بخلاف الفصم))[3].

ولعل في التعبير بالفعل المضارع (يركضون) المفيد للتجدد والحدوث ما يشخّص استحضار حالة الهلع والركض ما ثلتين في الدهن؛ ظنًا منهم أن الركض سينجيهم من عذاب الله ﷻ وعند هذه الشِدة، وهذا البأس يتلقون الإهانة والتحقير (لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم

(1) الشهاب(977– 1069هـ) هو أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي، قاضي القضاة وصاحب التصانيف في اللغة والأدب، نسبته إلى قبيلة خفاجة، تولى القضاء ثم عزل، من أشهر كتبه ريحانة الألبا– شفاء العليل– له ديوان شعر) الأعلام ، الزركلي 1: 238.
(2) حاشية الشهاب (المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي) 6: 38. ينظر: الكشاف 2: 628.
(3) الكشاف، الزمخشري 3: 106.

تسألون). وحقيقة الأمر أنَّه ما عاد هنالك مجال للسؤال ولا للجواب، إنَّما المقام مقام إهانة وسخرية وتهكم بهم [1].

ومن صور الإهانة في البيان القرآني تشبيهًا ما جاء في تصوير حال قوم ثمود لمَّا عقروا الناقة، قوله: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴾ القمر: 31.

تناول أبو موسى الآية فقال: ((الهشيم: الشجر اليابس. والمحتظِر: الذي يعمل الحظيرة، فالصيحة التي أرسلها الله عليهم أبادتهم فصاروا كهشيم المحتظر... وكان يمكن أن تؤدي العبارة معنى فنائهم وتحطيمهم لو قال كانوا كالهشيم؛ ولكنه أراد أن يؤدي معنى آخر بهذا القيد وهو الازدراء، وأنَّهم لا كرامة ولا آدمية لهم، وإنَّما هم كهذا الهشيم الموطوء بالدواب تبول وتروث عليه، وفيه من الإهانة وضياع الحرمات))[2].

أمَّا إهانة المنافقين فتظهر من قوله تعالى: (موتوا بغيظكم) في الآية ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ آل عمران: 119.

(1) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود 6: 58.
(2) التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، محمد أبو موسى: 25.

وهذا الضرب من الخطاب البياني للمنافقين قال عنه بعض المفسرين وعلماء علوم القرآن [1] أَنه دعاء عليهم، وخزي لهم، غير أنَّ أبا حيَّان ردّ القول بالدعاء عليهم قائلاً: ((والأمر ليس بدعاء؛ لأنَّه لو أمره بالدعاء لماتوا جميعهم على هذه الصفة، فإنَّ دعوته لا ترد، وقد آمن منهم بعد هذه الآية كثير...))[2]. والذي يرتضيه أبو حيَّان وأوافقه الرأي أنَّ الأمر في هذه الآية للإهانة والتحقير.

ومن أساليب الإهانة للمنافقين ما جاء بصيغة (فعّل) مثل:(بشّر) وحيثما ذكر العذاب مع البشارة انصرف للإهانة والازدراء والتهكم. قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ النساء: 138.

فالفعل(بشّر) مكان(انذر)، وهذا من الاستعارة التهكمية[3] حيث استعمل اللفظ الدال على المدح في نقيضه للذم والإهانة، تهكمًا بالمخاطَب، وانزالًا لقدره، وحطًا منه، نحو قوله: (فبشرهم بعذاب أليم) بدل قوله: انذرهم)؛ لأنَّ البشارة إنَّما تستعمل في الأمور المحمودة والمراد هنا العذاب والويل.

2- إهانة المشركين والمنافقين في الآخرة:

(1) مثل: أبي السعود في إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم 1: 422، والألوسي في روح المعاني 4: 40، والزركشي في البرهان 2: 251.
(2) تفسير البحر المحيط 3: 44.
(3) ينظر: الكشاف، الزمخشري 1: 611.

يرسم أسلوب الإهانة لونًا من العذاب النفسي في الآخرة إضافة إلى العذاب الذي أعدَّه الله ﷻ للكافرين والمكذبين والمنافقين.

وأسلوب الإهانة متنوع بتنوع مراحل الآخرة من العَرض، والحساب، والجزاء، أو دخول المكذبين النار، أو العذاب نفسه الذي يعذب به المشركون، كما أنَّ أسلوب الإهانة لم يرتبط في البيان القرآني بالمأمور دائمًا، بل قد يكون وقعه على مَن سيقع عليه الفعل نفسه.

واستعمل القرآن فعل الأمر (ادخلوا) إهانة للمشركين، قال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ الزمر: 72.

فجملة الأمر (ادخلوا) في الآية تدل من المقام والمكان المدخول فيه على الإهانة والتحقير. وقوله أيضًا: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۞ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ النحل: 28 - 29.

فالتعبير بجملة الأمر (فادخلوا) في الآية للإهانة والازدراء، وجملة (بئس مثوى الظالمين) أسلوب ذم، المخصوص بالذم محذوف تقديره: النارُ. والجملة استئنافية لا محل لها من الإعراب، أي: ((فلبئس مثوى المتكبرين هي. أي: جهنم، وَوَصْفُ التكبر دليل على استحقاق صاحبه النار))[1].

(1) تفسير البحر المحيط، أبو حيان 5: 397.

ومن صور أسلوب إهانة المشركين في الآخرة قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ * لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ * وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ * ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾ ق: 21- 26.

فالآيات الكريمة تصوّر نفس المشركين اللاهية عن ذكر الله المُسَاقَةُ في ذلٍ وَهَوَان إلى جهنم؛ لأنَّها مَنَعتْ الخير في دار العمل، وفي التعبير عن دفعها والقائها في النار الترقي في الإهانة والتحقير.

وفي فعل الأمر(ألقيا) اختلاف بين المفسرين في كون المأمور ((واحد أو اثنان، فقيل: واحد، وإنَّما أتى بضمير الاثنين دلالة على تكرير الفعل، كأنَّه قيل: ألْقِ أَلْقِ. وقيل أراد أَلْقَيَنْ بالنون الخفيفة، فأبدلها ألفًا إجراء للوصل مجرى الوقف))[1] .

ويصوّر الفعل(ألقيا) بجرسه، وحسِّه، صورة الإلقاء وما فيها من عنف وقسوة وشدة؛ لأنَّها في نار جهنم التي لا تبقي ولا تدر.

ويلحظ الباحث الاختلاف في استعمال مقال الفعل وفق المقام، فالفعل (ألقِ) من الله ﷻ وفيه ما فيه من القهر الإلهي والشدة في الإهانة والتحقير على ما عرضته الآيات السابقة، أو استعماله عند الغضب البشري مثل قوله

(1) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص الدمشقي 18: 30.

تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام لرسوله إلى بلقيس: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ النمل: 28.

ومن صور الإهانة في البيان القرآني ما جاء في أمْرِ الله ﷻ للملائكة المكلفين بالعذاب يوم القيامة قال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ۞ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ الدخان: 47 - 49، وقوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۞ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۞ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۞ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۞ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾ الحاقة: 30 - 37.

فالأسلوب في الآيات السابقة من سورتي الدخان والحاقة بتكليف من الله لملائكة العذاب لما فيه من إهانة للمعذَّب من حيث متعلق العذاب واقع عليه، وهي ألفاظ في صياغة الأمر ذات إيحاء رهيب، نحو: (خذوه، فاعتلوه، صبوا، خذوه، فغلوه، صلوه، فاسلكوه).

أمَّا فخذوه فاعتلوه ((فقودوه بعنف وغلظة؛ وهو أن يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر إلى حبس أو قتل، والعُتِلُ هو الغليظ الجافي))[1]، وهي أوامر موجهة للملائكة وقعها على المُعذَب؛ ترقيًا وتصعيدًا لأعلى درجات الإهانة

(1) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية 4: 377، والكشف والبيان للنيسابوري 5: 186، والكشاف للزمخشري 4: 285.

والسخرية والتحقير. أمَّا فعل الأمر(ذق) فهو للإهانة والازدراء والتهكم بهذا المشرك الضال [1].

ومن تبكيتهم وإهانتهم يوم القيامة قوله تعالي: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ المرسلات:30- 31.

فقد استعمل البيان القرآني فعل الأمر (انطلقوا إلى) مكررًا؛ ترقيًا في إهانتهم وتبكيتهم والاستهزاء بهم؛ لأنَّ ملائكة العذاب تنطلق بهم قسرًا ((وأعيد فعل انطلقوا على طريقة التكرير لقصد التوبيخ والإهانة والدفع...ومقتضى الظاهر أن يقال: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ظلٍّ ذي شعب، فإعادة العامل في البدل للتأكيد في مقام التقريع... وعبَّر عنه بالظل تهكمًا بهم؛ لأنَّهم يتشوقون ظلاً يأوون إلى برده))[2]. كما رسم الفعل الحركة، والصوت مشخصًا حالة المكذبين بيوم الدين في أدق تصوير لما يكابدونه يوم القيامة جزاء تكذيبهم.

المطلب الثالث: التكريم:

التكريم لغة: هو من (("كَرَمَ" الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان: أحدهما شرف الشيء في نفسه، أو شرف في خُلِقٍ من الأخلاق، يقال:

(1) ينظر: الكشاف، الزمخشري 4: 285.
(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور 29: 435.

رجل كريم، وفرس كريم،... والكرم في الخُلق يقال هو الصفح عن ذنب المذنب... والله تعالى هو الكريم الصَّفوح عن ذنوب عباده المؤمنين)) [1].

أمَّا التكريم في الاصطلاح فهو من ((أكرم نفسه عن المعاصي: نزَّهها. وتكرّمَ فلان: تكلف الكرم، وكرَّم فلانًا: عظمَّه ونزَّهه...والتكريم: التفضيل)) [2].

والتعبير بالتكريم في البيان القرآني لون من ألوان الترغيب في الصفات العالية الكريمة، والأعمال الصالحة التي ينال بها أصحابها رضا الله وكرمه وغفرانه. وفيه ترغيب إلى جنته وما فيها من نعيم أعد للمتقين، وفيه ما فيه من إثارة للنفوس والخواطر إلى عالم الآخرة المليء بالسرور والنعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول.

وأول تكريم من الله ﷻ كان لآدم عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: 34.

والتكريم في القرآن موزع بين الدنيا والآخرة، وهو جزء من مشاهد يوم القيامة، قال تعالى:﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ الحديد: 12.

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (كرم).
(2) القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا، سعدي أبو رجب: 317.

التكريم في الدنيا:

كرَّم الله ﷻ أنبياءه في الحياة الدنيا؛ نصرة لهم على الباطل الذي يواجهونه، قال تعالى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ ... الآية ﴾ هود: 48.

فالأمر (اهبط) أمر حقيقي ودلالته على التكريم سياق الآية؛ لأنَّه متعلق بقوله تعالى: (بسلام منا وبركات عليك)؛ وهما ((حالان من ضمير الفاعل))[1]، أي: أنَّ الحال اهبط يحفك السلام وتحوطك البركة، وأصل السلام: ((السلامة، واستعمل عند اللقاء إيذانًا بتأمين المرء لملاقيه وأنَّه لا يضمر له سوءًا، ثم شاع فصار قولاً عند اللقاء للإكرام))[2].

ومن صور التكريم ما صدر من يوسف عليه السلام عند ما أوى إليه أبويه وهو في مصر قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ يوسف: 99.

فدلالة الأمر (ادخلوا) للتكريم. وهذا مستفاد من السياق وقرينة الحال في الآية من قوله: (إن شاء الله آمنين).

(1) إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، العكبري 2: 40.
(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور 12: 89.

التكريم في الآخرة:

جاء التكريم في الآخرة من الخالق ﷻ على أتم وجه، وأكمل حال قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ الحجر: 45 -46.

فبعد الإخبار المؤكد عن حال المتقين جاء الأمر المفيد للتكريم (ادخلوها بسلام آمنين) الذي قال عنه السيوطي إنه للإكرام [1]، وقال عنه الزركشي إنَّه ((خطاب الكرامة))[2]. (وبسلام آمنين): جاءت في موضع نصب على الحال، وعلى هذا يكون تقدير المعنى: ادخلوها مصحوبين بالسلامة، أو ادخلوها مُسلمًا عليكم[3] والباء في(بسلام) للمصاحبة[4].

ويفصِّل فخر الدين الرازي القول في (بسلام ...الآية) للدلالة على التكريم قائلاً: ((بسلام: كما يقول المضيف: ادخلْ مصاحبًا بالسلامة والسعادة والكرامة، والباء للمصاحبة في معنى الحال، أي: سالمين مقرونين بالسلامة، أو معناه ادخلوها مُسَلَّمًا عليكم، ويسلم الله وملائكته عليكم))[5].

قال تعالى: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ الأعراف: 49.

(1) الإتقان في علوم القرآن 3: 277.
(2) البرهان في علوم القرآن 2: 231.
(3) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري 2: 783.
(4) ينظر: شرح ابن عقيل 8: 22.
(5) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب 28: 155.

وفي آية الأعراف يتوجه الخطاب وفيه الردّ بالتكريم للضعفاء ((المسلمين الذين كانت الكَفَرة تستحقرهم في الدنيا، ويحلفون أنَّ الله لا يدخلهم الجنة)) [1].

وجملة الأمر (ادخلوا الجنة) تلوين للخطاب وتوجيه إلى الذين اقسموا على غيرهم بألاَّ يدخلون الجنة، ولكنهم سيدخلونها رغم أنوفهم. و(ال) في لفظ الجنة للعهد[2] .

أمَّا لفظة (خوف) فجاءت نكرة في سياق النفي لإفادة العموم[3]، إشارة إلى نفي أي شكل من أشكال الخوف عنهم، وفي هذا زيادة ترغيب وتكريم.

وفي إطار التكريم قال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ۝لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ق: 31- 35.

تصدرت الآية بالفعل (أزلفت) وذلك ((لأنَّ الازلاف هو التقريب؛ فكل مُزْلَف قريب، وكل قريب غير بعيد))[4]. ثم جاء ت جملة الأمر (ادخلوها

(1) البحر المديد، تفسير ابن عجيبة 2: 493.
(2) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود 3: 230.
(3) الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة، محمد الدمشقي: 55.
(4) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري 1: 319.

بسلام) وهي ((مقول القول المقدّر المستأنف، والجار والمجرور متعلق بحال الفاعل في (ادخلوا)، وجملة (ذلك يوم) معترضة بين الحال وصاحبها[1].

وبهذا التصدر رسمت الآيات مشهد الإكرام والتكريم في الآخرة لعباد الله المتقين وهذا مستفاد وظاهر من صيغة الأمر في قوله تعالى:(ادخلوها بسلام)، والباء للمصاحبة التي يعبر بها عن باء الحال[2]، ثم تختم الآية بما يدل على التكريم والحفاوة ودلالة الرضا لهؤلاء المتقين (لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد)، فهم أهلٌ لهذا التكريم بفضل الله وكرمه ومنته.

ومن أسلوب التكريم في الآخرة قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾الزمر: 73. وقوله تعالى:﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾ الأعراف: 46. وقوله تعالى:﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ الرعد: 24. وقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ النحل: 32. وقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ الزمر: 73.

(1) ينظر: مشكل إعراب القرآن، أحمد الخراط 519.
(2) ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي 2: 140.

فالملاحظ في الآيات السابقة اقتران دخول الجنة بالسلام سواء كان قبله أو بعده، ويجوز تنكير السلام كما في الآيات لكثرة استعماله[1]، كما يلاحظ كثرة ذكر السلام مع الأمر بدخول الجنة لإقرار الأمن والطمأنينة، والرضا والتكريم.

ومن دلائل الرضا والتكريم الإخبار عن المؤمنين المنعمين في الجنة بصيغ التوكيد نحو: إنَّ، واسمية الجملة، وهو إخبار متحقق الوقوع؛ لأنَّه صادر عن الذي لا يتخلف خبره. نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ * فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ الطور: 17 -18.

أمَّا في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ الفجر: 27 -30.

فتصدرت الآيات بأداة النداء(الياء) وهي ((حرف وضع في أصله لنداء البعيد ثم استعمل في مناداة القريب لتشبيهه بالبعيد باعتبار أمر راجع إليه، أو إلى المنادَى))[2].

ولعل هذا الأمر هو تكريم النفس التي يناديها الله ﷻ ويصفها بالمطمئنة، والأمر بعد النداء مفيد للاهتمام، ولا يكون الاهتمام إلاَّ دلالة على التكريم.

(1) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي 9: 63.
(2) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني: 279.

وفي الآية قرائن ملفوظة أغنت عن ذكر السلام، فقد أغنى عن ذكر السلام ألفاظ تحمل دلالة السلام، والرضا، والتكريم هي:(المطمئنة، راضية، مرضية). كما في إضافة العباد والجنة لله ﷻ دلالة الرضا وغاية الإكرام والتكريم.

ومن الأسلوب المفيد للرضا والتكريم في البيان القرآني قوله تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ الطور: 19. وقوله تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴾ الحاقة: 24. وقوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ المرسلات: 43 - 44.

فالأمر في الآيات بالأكل والشرب ((ليس بأمر إيجاب ولا ندب؛ لأنَّ الآخرة ليست دار تكليف، ومنهم من قال: لا يبعد أن يكون ندبًا، إذا كان الغرض منه تعظيم ذلك الإنسان وإدخال السرور في قلبه))[1]. ولذا لم يذكر الإسراف في الآخرة وذكر(هنيئًا)أي: خالص اللذة لا يشوبه تنغيص [2]. والباء في الآيتين للسببية، أي: كلوا واشربوا وتمتعوا بسبب عملكم الصالح في الحياة الدنيا، وذلك من إكرامهم أن جعل التكريم حقًا لهم، وجملة (إنا كذلك نجزي المحسنين) مسوقة لهذه الإفادة ولزيادة تكرينهم والثناء عليهم؛

(1) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي 30: 99.

(2) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد، الشهير بالخازن 7: 198.

لأنَّها سُنة الله في جزاء المحسنين[1]. والله ﷻ أعلم بما نزَّل في كتابه. والحمد لله أولًا وآخرًا.

الخاتمة: وتضم أهم النتائج من خلال العرض والتتبع.

1- أنَّ أسلوب الإهانة والتكريم من أساليب الطلب التي يخرج فيها عن مقتضى الظاهر، وأنَّه نال اهتمام معظم النحاة الأوائل، وبعض مفسري القرآن، وأغلب علماء البلاغة والإعجاز في كتبهم.

2- أنَّ أسلوب الإهانة في البيان القرآني نمط أسلوبي بصيغة الأمر، غالبًا ما يصاحب السخرية والتهكم، وهو لون من ألوان العذاب في الدنيا والآخرة، وهو الأكثر استعمالاً في البيان القرآني من التكريم؛ لأنَّه مرتبط بالباطل، والبطل طرقه متعددة.

3- أنَّ لأسلوب الإهانة في القرآن الكريم صورًا منها أسلوب إهانة الله ﷻ للشيطان الرجيم، و أسلوب إهانة موسى عليه السلام لسحرة فرعون، وأسلوب إهانة الله ﷻ للمشركين والمنافقين في الدنيا والآخرة.

4- أنَّ التكريم شرف الشيء في نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق، وأنَّ التعبير بالتكريم في البيان القرآني لون من ألوان الترغيب في العمل الصالح الذي يرضى الله عنه.

5- أنَّ التكريم في القرآن الكريم موزع بين الدنيا والآخرة وهو جزء من مشاهد يوم القيامة.

(1) ينظر التحرير والتنوير، ابن عاشور 29: 444.

6- أنَّ مناط التكريم واصل في الدنيا والآخرة على أكمل وجه وأتم حال، للأنبياء والرسل، والمتقين من العباد، وهو من علامات الرضا والقَبول عند الله. كما أنَّ الإهانة ملحقة للمشركين والمنافقين في الدنيا والآخرة.

فِهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم).

- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيأة المصرية العامة للكتاب ط/1394هـ= 1974م.
- إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، أبو البقاء عبد الله ابن الحسين بن عبد الله العكبري (ت:616هـ) تح: إبراهيم عطوة عوض، المكتبة العلمية لاهور، مكان النشر باكستان.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد القزويني، الناشر: دار إحياء العلوم – بيروت ط/4/1999م.
- البحث النحوي عند الأصوليين، مصطفى جمال الدين، بغداد 1980.
- البحر المديد، تفسير ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الإدريسي الفاسي، دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت ط/2/ 2002م.
- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت: 794هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت 1391هـ.

- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي–بيروت (د.ت).
- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي تح: عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط/1/ 1422هـ= 2001م.
- تفسير التحرير والتنوير= (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد) محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر– تونس.
- تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد ابن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر بيروت لبنان 1399هـ= 1979م.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت: 604هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.
- التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، تأليف محمد أبو موسى، منشورات جامعة قاريونس ط/1/ 1398هـ= 1978م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، (ت: 671هـ) تح: هشام سمير النجاري، دار الكتب الرياض– المملكة العربية السعودية ط/1422هـ= 2002م.

- الجدول في إعراب القرآن، محمود عبد الرحيم صافي (ت:1376هـ) الناشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان دمشق.
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة (عناية القاضي وكفاية الراضي) أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي، دار صادر بيروت.
- دلالة الألفاظ عند الأصوليين، محمود توفيق محمد، مطبعة الأمانة القاهرة، ط/1/1987م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي(ت:1270هـ) دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر – دمشق.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حمَّاد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر دار العِلم للملايين ط/4/ 1407هـ= 1987 بيروت لبنان.
- الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة، محمد أمين بن عمر المشهور باين عابدين الدمشقي الحنفي (ت:1252هـ) تح: حاتم صالح الضامن، دار الرائد العربي سنة النشر 1990م.
- القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا، سعدي أبو جيب، دار الفكر دمشق سوريا ط/ 2/ 1498هـ – 1988م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي تح: عبد الرزاق المهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي–بيروت.
- الكشف والبيان، أبو إسحاق محمد بن محمد النيسابوري، تح: أبو محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط/1/ بيروت لبنان 1422هـ.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي، تح: عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط/1/ 1419هـ= 1998م.
- مشكل إعراب القرآن، أحمد محمد الخراط، منشورات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري، وجزءًا من كتاب نور الدين الجزائري، تح: مؤسسة النشر الإسلامي/1/ 2000.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط/ 1399هـ –1979م.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القسم الحسن بن محمد(ت:502هـ) تح: محمد سيد كيلاني، بيروت – لبنان.

فهرس المحتويات

ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
1	أسلوب الأمر في القرآن (الإهانة والتكريم أنموذجًا)	د. علي عبد السلام بالنور أ. حنان علي بالنور	5
2	أبو تمام البصري وآراؤه الأصولية	د. جمال عمران سحيم	36
3	الجهل بالسنة المظاهر – الآثار – العلاج	د. طارق عطية البقيج	88
4	السواك سنة وعلاج	د. محمد حسين الشريف	124
5	العقوبات والغرامات المالية عند المالكية تأصيل وتطبيق.	د. مختار بشير عبد السلام العالم	163
6	حديث (افتراق الأمة) بين التصحيح والتضعيف	د. عادل فرحات الشلبي	205
7	حماية المجتمع من الجريمة يحقق تكامل المجتمع ووحدته ونموه	د. عبد الحميد إبراهيم سلطان	248
8	من علماء الحديث المعاصرين في ليبيا	د. محمد فرج الزائدي	287
9	ما سمعه ابن عباس ﷺ من النبي ﷺ أو شهده منه:	د. عبد العزيز بوشعيب العسراوي	326
10	مسميات علم العقيدة حتى بداية القرن الخامس الهجري	د. إبراهيم عبد الله سلطان	389
11	الجانب الحديثي والفقهي عند ابن التين الصفاقسي رحمه الله	د. خليفة فرج الجراي	441
12	التوجيه الدلالي لنماذج من رواية نافع المدني	أ. وليد جمعة حامد	476
13	مفهوم التمدن عند الشيخ علي يوسف (1863-1913)	د. يحيى مراد	521
14	سمات أهل الحديث والسنة	د. محمد عبد السلام العالم	561